هل أفاد فرنسيس بيكون وغيره من ابن تيمية؟[1]

في برنامج السناب[2]، طرحَ الأخ الشيخ فارس العجمي –وفقه الله– هذا التساؤل، فقال: "**هل تصح دعوى استفادة بيكون وغيره من ابن تيمية؟**".

ثم أجاب بقوله: "**الحقيقة أني لا أعرف دليلاً لهذا الدعوى، وعامة من مر بي ممن يذكرها يرسل الكلام إرسالاً. واستــفادة بيكون منه** [أي ابن تيمية] **مستبعدة**".

ثم قال: "**من عنده دليل فليفدني به في الخاص، وشكرًا لكم**".

ثم قال: "**لعل من أول من ذكر هذا الدكتور سفر الحوالي ولم يذكر عليه دليلاً، ثم تتابع الباحثون من السلفية أو بعض من يكتب المقالات إلى ذكر هذه الدعوى دون حجة**".

ثم قال: "**والمدعي لهذه الدعوى يحتاج لعدة أمور، أولاً: أن فرنسيس بيكون كان يعرف العربية. أو أن الرد على المنطقيين ترجم لغير هذه اللغة** [العربية]. **ولا أظن أن الرد على المنطقيين ترجم لأسباب منها: أن الكتاب ليس له إلا نسخة واحدة، وجدت في الهند. طبعًا هذا في حدود علمي. والأمر الثاني: أن هل ترجمته هذه انتشرت في الغرب أو لم تنتشر؟ بحيث يطلع عليها فرنسيس**". ثم قال: "**وأيضًا أنا كنتُ قبل أمس أطالع الأرقانون الجديد، لم أر شيئًا مما يذكر في مسألة تأثر فرنسيس بالكتاب. هذا إن كان التأثر في هذا الكتاب، فإن كان في غيره فلا أدري**".

(1) أود حقيقة أن أبدي إعجابي بطرح الأسئلة واستثارة العقل للإجابة عنها. ولا يُمكن للعلم ولا للبحث العلمي أن يتطور دون ذلك. ومن يطرح الأسئلة الجيدة بطريقة منهجية فله الفضل في تحصيل الإجابات العلمية وإثراء الساحة الفكرية.

(2) كان ذلك في يوم الأربعاء الثالث من ذي القعدة 1438هـــ.

ولو أردنا أن نلخص هذا الكلام في نقاط، فسيكون كما يلي:

1- إفادة فرنسيس بيكون وغيره من ابن تيمية هي مجرد دعوى، لا دليل عليها.

2- عامة من يذكرها كلامه مرسل.

3- أول من ذكر هذه الدعوى المرسلة هو الدكتور سفر الحوالي، ثم قلده في ذلك الباحثون السلفيون وبعض كتَّاب المقالات.

4- **والنتيجة:** إفادة بيكون من ابن تيمية مستبعدة.

5- وإلا فالمعارض كي يثبت هذه الدعوى عليه ما يلي:

أ-أن يثبت أن فرنسيس بيكون كان يعرف العربية.

ب- **أو** أن الرد على المنطقيين ترجم لغير اللغة العربية. وهذا مستبعد، لأسباب منها: (1) أن الكتاب ليس له إلا نسخة واحدة، وجدت في الهند. (2) أن تكون هذه الترجمة انتشرت في الغرب، بحيث يطلع عليها فرنسيس.

هذه هي خلاصة الكلام، وتعليقي عليه كما يلي:

أولاً: قضية إفادة فرنسيس بيكون من أبي العباس شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– ليست بالقضية الكبيرة، بحيث يترتب عليها نتائج خطيرة، ويكون الاختلاف فيها مظنة النـــزاع المذموم أو الانحراف، بل هي قضية تتسع له وجهات النظر ويسعها البحث واختلاف الرأي. وأنا هنا أكتب هذا التعليق للإثراء ومحاولة الإجابة، ليس إلا[1].

---

(1) **قلتُ:** لستُ هنا معنيًّا بأن أبيّن رأيي في هذه المسألة وما الذي اعتقده هل وقع التأثير أو لم يقع، فمثل هذا الحكم يتطلب دراسة أكاديمية مقارنة بين كتب فرنسيس بيكون وجون ستيوارت مل وغيرهما بكتب ابن تيمية، ولعلي أخصص لذلك ورقة مستقلة إذا يسر الله ذلك. وإنما همتي هنا بيان رأي العلماء والكُتَّاب الذين تناولوا هذه المباحث. مع أنني وقفتُ على كثيرٍ من اعتراضات الغربيين ومن تابعهم في ذلك، في نفيهم استفادة فرنسيس بيكون وغيره من فلاسفة الغرب منه، ووجدتُ أكثرها ضعيفاً ومبناه التحكُّم، ليس أكثر من ذلك. كقولِ أحدهم في نفي الاستفادة مع إقراره بوجود التشابه والأسبقية بأنَّ "**اعتماد ابن تيمية على النصوص الدينية المقدسة –القرآن والسنة– كمصدر قطعي، لا يُمكن أن يجعل المدرسة الأوروبية التجريبية تلتقي معه أو تشاركه**"!

ثانيًا: أؤكد أن الدعوى لا يحسن تقريرها بدون دليل ولا حجة، نفيًا أو إثباتًا. والمفترض من المتكلِّم في تلك المباحث خاصَّةً أن يحرر كلامه ويقدم أدلته وحججه على ما يطرحه، دون إرسال الكلام.

ثالثًا: هل إفادة فرنسيس بيكون وغيره من شيخ الإسلام ابن تيمية مجرد دعوى لا دليل عليها، وكلامٌ مرسَلٌ لا برهان عليه؟

قلتُ: قبل الإجابة المباشرة، فإنَّ عملية إثبات الإفادة تكون من خلال ما يلي:

1- نص المستفيد اللاحق صراحةً على اسم المستفاد منه السابق، وهذا قاطع في المسألة.

2- دليل مادي يثبت وقوف اللاحق على كتاب السابق واستفادته منه، كوجوده في حوزته، أو وجود خطه عليه. وهذا قاطع في المسألة.

3- وجود أدلة داخليَّة تقوم مقام النص، كأن توجد مقاطع متطابقة حرفيًا ومتشابهة إلى حدٍّ كبيرٍ جداً بين الكتابين، تدل أنَّ اللاحق أفادَ من السابق. وهذه أيضًا قويَّةٌ جدًا في الدلالة، ما لم يكونا قد أخذا من مصدر ثالث!

4- أن يُصار –في حالة غياب النقاط الثلاث السابقة– إلى المقارنة الأدبية النصيَّة بين الأثرين، ودراسة المحتوى وأفكاره، ومقارنتهما ببعضهما، مع غياب الموانع الجازمة، ثم الخلوص إلى النتيجةِ ترجيحًا. وهذا النوع هو الأغلب في الدراسات المقارنة.

وحتى هذه اللحظة –مع عدم نفي ذلك ومع إمكان وجوده– لم أقف على نصٍ لفرنسيس بيكون أو من جاء بعده من فلاسفة الغرب يذكرون فيه اسم ابن تيمية أو أنهم أخذوا منه. وكذلك لم أقف على أدلةٍ ماديَّةٍ تثبت ذلك، ولا أعلم بوجود ذلك. وما قيل في إثبات استفادة فرنسيس بيكون وغيره من الفلاسفة والتجريبيين الغربيين من شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– هو جمعٌ بين الثالث والرابع[1].

(1) للأسف، فإنَّ جهود المقارنة هذه يفتقدها –إلى حدٍ كبير– تراث شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– سواء منه إليه أو منه إلى غيره. ولا يزال هذا التراث العظيم وخصوصًا العقلي يحتاج إلى خدمة تليق به.

رابعًا: تقرير أنَّ "**أول من ذكر هذه الدعوى هو الدكتور سفر الحوالي بلا دليل ولا حجة، ثم قلده الباحثون من السلفية أو بعض كتَّاب المقالات في ذلك**".

في نظري أنَّ هذا كلام غير دقيقٍ، فلم يكن الدكتور سفر الحوالي[1] "من أول من" ذكر ذلك، ولا هو من أهمهم بحكم الاختصاص. فالشيخ سفر لم يأتِ بشيءٍ من عنده؛ إذ قد أشار إلى إفادة فرنسيس بيكون وغيره من ابن تيمية وأسْبَقِيَّة عليهم علماءُ في المنطق والبحث العلمي وكتَّابٌ من قبله ومن بعده، وهم لا ينحصرون في المدرسة السلفيَّة[2]، بل أغلبهم ليسوا كذلك، ففيهم الأشعري والأزهري والشيعي والمفكر وغير ذلك.

والنقطة المهمة التي يجب الانطلاق منها؛ هي أنَّه بحسب ما وقفتُ عليه، فإنَّ من تناول هذا الموضوع من الغربيين والمسلمين، أعني من تناول دراسة آراء ابن تيمية النقديَّة للمنطق الأرسطي وكلامه عن أهميَّة التجربة، يعترف بأمرين اثنين:

1- وجود تشابهٍ كبيرٍ، بل مدهشٍ ولافتٍ للنظر، بين كثيرٍ من آراء ابن تيمية وبين فلاسفة الغرب المتأخرين، من أمثال: فرنسيس بيكون، وجون لوك، وديفيد هيوم وجون استيوارت مل، ورواد المدرسة التجريبية وغيرهم، بل إنَّ كثيرين منهم يُقِرُّون بالتطابق بين أقوال وأمثلة ابن تيمية وبين بعض هؤلاء الغربيين في أحيانَ كثيرة.

2- أسبقيَّة ابن تيمية الزمنيَّة على هؤلاء الفلاسفة الغربيين.

وهؤلاء العلماء والكُتَّاب، مع اتفاقهم على النقطتين السابقتين: الأسبقيَّة والتشابه، ينقسمون إلى فئات:

الأولى: تنفي تأثر فرنسيس بيكون وغيره من الغربيين بابن تيمية، وهذا اتجاه كثيرٍ من الغربيين.

---

(1) **قلتُ:** ليس الغرض من هذا التعليق هو الدفاع عن الدكتور سفر الحوالي، فهو قادرٌ على الدفاع عن نفسه، لكنَّ الغرض منها -كما سبق بيانه- الإثراء ومحاولة الإجابة عن السؤال، بصرف النظر عن الاسم الذي نسبت له تلك الدعوى.

(2) **قلتُ:** سأهمل هنا عمدًا النقل عن العلماء والكُتَّاب المنتسبين للمدرسة السلفيَّة الأثرية، الذين لهم أقوالٌ في أسبقية ابن تيمية على أمثال فرنسيس بيكون في ترسيخ المنهج التجريبي ونقد منطق أرسطو، كأمثال الشيخ عبدالرحمن الوكيل، الذي له كلام عن ذلك، قاله في عام (1370هـ).

الثانية: يذكرون التشابه والأسبقيَّة دون تصريح بوجود التأثر. وتلمس منهم الميل إليه.

الثالثة: يذكرون التشابه وأحيانًا التطابق، وهم ما بين رابطٍ بينهما في العلاقة، ومنهم من يرجح التأثر، ومنهم من يميل إليه ويقترح المزيد من الدراسات المقارنة.

وهؤلاء الذين يربطون التأثر أو يرجحونه أو يميلون إليه، لا يرون ذلك مجرد دعوى مرسلة، لا دليل عليها ولا حجة، بل قالوا بذلك ورجحوه ومالوا إليه من خلال عدة أمور، منها:

1- مقارناتهم التحليلية بين آراء وأقوال وأمثلة ابن تيمية النقديَّة وبين أقوال وآراء وأمثلة الفلاسفة الغربيين المتأخرين.
2- بعد تلك الدراسة المقارنة، وجدوا التشابه الكبير والمدهش، بل التطابق في أحيان كثيرة بين تقريرات ابن تيمية وتقريرات هؤلاء الفلاسفة الغربيين.
3- ملاحظتهم السياق التاريخي والمعرفي في البيئة الحضاريَّة الإسلامية وفي البيئة الأوروبية في تلك العصور، فيما يتعلق بالموقف من التجربة والمنهج التجريـــبي ونقد منطق أرسطو.
4- انتفاء الموانع الحائلة من وجود مثل هذه الاستفادة.

وأنا هنا أذكر جملة من النماذج[1] فيها بعض خلاصة النتائج التي توصل إليها بعض الباحثين الذين عقدوا مقارنات تحليليَّة بعضها طويل وبعضها أقل، بين نصوص وآراء ابن تيمية النقدية ونصوص وآراء فلاسفة الغرب حول نقد المنطق الأرسطي وتكريس المنهج التجريبي.

1-العلامة الدكتور **السَّيد سليمان النَّدوي** (توفي 1373هـــ)، مدير مجلة معارف، والقاضي بالمحكمة الشرعية ببوفال، ولعله من أقدم من تحدث في هذا الموضوع من المعاصرين.

كَتَبَ مقالة علميَّة بعنوان: "**المسلمون ومدارس الفلسفة الإغريقيَّة**"، سنة (1927م) في مجلة

---

(1) **قلتُ**: كنتُ قد نشرتُ قديمًا في الشبكة في عام 1421هـــ، في أحد أشهر المنتديات العربية، مقالة بعنوان: "**المنطق اليوناني بين الغزالي وابن تيمية**"، أوردتُ فيه مجموعة من النصوص للفيفٍ من المفكرين والمناطقة العرب، فيها إشادة بنبوغ ابن تيمية في نقده للمنطق الأرسطي وأسبقيته في كثيرٍ من آرائه على كثيرٍ من فلاسفة الغرب، وتميزه عن الغزالي رحمهما الله.

"**الثقافة الإسلامية**" الصادرة باللغة الإنجليزية. وَصَفَ أحد الباحثين الغربيين خلاصة هذه المقالة بما يلي: "كان دحض ابن تيمية لمنطق أرسطو هو أساس منطق جون استيوارت مل وفلسفة ديفد هيوم".

العلامة الدكتور **سليمان النَّدوي** كتب هذه المقالة ردًا على من زعم -كما يقول هو بلفظه عن تلك المقالة في موضعٍ آخر- "أنَّ علماء الإسلام لم يكونوا إلا خَدَمة لأرسطو... فعددتُ مواضعَ ذكر فيها ابن تيمية فلاسفة اليونانيين وآراءهم، وفنَّد آراء ابن سينا وجَهَّله، وقال فيه: إنه لا يعرف غير أرسطو".

ومما قاله رحمه الله في تلك المقالة: "ابن تيمية، ذلك العبقري النادر، بالرغم من كونه كان حكيمًا دينيًّا إلا أنَّه كان في الحقيقة ذلك الرجل الذي خرج سليمًا من غير ضُرٍّ من بيت الفلسفة الفاتن. كل أعماله مليئة بالإدانة المريرة للفلسفة، ومع ذلك فقد كان بنفسه فيلسوفًا كبيرًا. لقد وَصَفَ ابن تيمية بشكلٍ مذهلٍ الارتباك والذهول الذي أصاب الفلاسفة في كتابه العقل والنقل. وكتب كتابه الكبير (**الرد على المنطقيين**)، من أجل دحض منظومة أرسطو المنطقية. إنَّ قراءة هذا الكتاب بعناية تعطي القارئ الانطباع أنَّ ابن تيمية في الحقيقة هو أول مؤسس لمنظومة منطق جون ستيوارت مل، وهو ورائد فلسفة ديفيد هيوم"..

وفي تقديمه الذي سَطَّرَهُ على كتاب (**الرد على المنطقيين**) في غرة ذي القعدة سنة (1368هـ) -وقد ذكر رحمه الله أنه كتبه وهو على عجالةٍ، وهو على وشك الرحيل في الغد على ظهر باخرة إلى الحجاز- أشار إشارةً سريعةً جدًا إلى مشابهة جون استيوارت مل لابن تيمية، وكذلك ديفيد هيوم، الذي يرى أنه في بعض المسائل التي أوردها في كتبه قال **عين** ما قاله ابن تيمية.

ومما قاله في المقدمة: "إذا أنعمت النظر في هذا الكتاب [الرد على المنطقيين] تجد مسائل منطقية وفلسفية ابن تيمية أبو عُذْرها، **وهي تطابق كل المطابقة بما قال فلاسفة الإفرنج** في هذا العصر في بعض مسائل المنطق والفلسفة... وكم لهذا النابغة في الكتاب من نوادر لم يسبقه إليها أحدٌ، رضي الله عنه".

2- المفكر الإسلامي المشهور **محمد إقبال**، يقول: "ابن تيمية يبين في كتابه نقض المنطق أنَّ الاستقراء هو الطريقة الوحيدة الموصلة لليقين، وهكذا قام المنهج التجريـــبي".

3- الدكتور **علي سامي النشار** –وهو أشعري فيه تعصبٌ ضد ابن تيمية- في كتابه الذي كتبه قبل سنة 1367هـــ، يقول ما نصه: "إذا كان ابن تيمية لم يقبل القضية الكلية اليقينية – مقدمة البرهان ونتيجته- كأساسٍ أو مصدرٍ للعلم، فما هو هذا الأساس عنده؟ هذا الأساس هو الحس أو التجربة، وهو بهذا يسبق بيكون ومل في جعلهما التجربة أو الاستقراء أساس المعرفة... وهنا يتشابه ابن تيمية وجون استيورت مل، بل يكاد مل يتكلم بأسلوب ابن تيمية في كتابه A System of Logic وهو يذكر مثال النار".
وقال وهو يتحدث عن الدور المنهجي للحد: "عبر ابن تيمية في بساطة عن هذا الرأي [الذي] أخذ به جمع كبير من مناطقة الإنجليز وبخاصة جون استيوارت مل".
ويقول: "وبهذا يسبق ابن تيمية المناطقة الرياضيين المحدثين في فكرهم أنَّ القياس الأرسطاليسي ليس هو الصورة الوحيدة العقلية، بل هناك علاقات كثيرة في الذهن وفي الواقع غيره".
ويقول: "ليس هناك في الحقيقة من تكلم –فيما قبل العصور الحديثة- بما تكلم به ابن تيمية. لقد وصل حقًا إلى أوج الدرج في فلسفة المنهج التجريـــبي، وعبر عن روح الحضارة الإسلامية الحقة في عصر الانهيار الحضاري الإسلامي الذي عاش فيه".

4- الفيلسوف والمنطقي الباكستاني **عبد القادر شودري**، كتب مقالة علميَّة باللغة الإنجليزية بعنوان: "**الناقد الإسلامي المتقدم لمنطق أرسطو: ابن تيمية**"، في الفصلية الفلسفية الدولية، سنة (1968م). أكد فيها عند مقارنة نقد علماء المسلمين للمنطق اليوناني كابن تيمية، مع نقد الفلاسفة الأوروبيين كفرنسيس بيكون وديكارت وجون لوك، أكدَّ "تميز النقَّاد المسلمين الذين سبقوا –بل في بعض الأحيان تجاوزوا- فلاسفة الغرب في كشف قصور نظام منطق أرسطو".

5-العالم الإيراني العلامة **السيد مصطفى حسيني الطبطبائي** – حفيد آية الله العظمى ميرزا أحمد أشتاني- في كتابٍ ألفه بالفارسية سنة (1399هـــ)، وترجم لاحقًا بالعربية، جعل

الفصل الثامن منه بعنوان: (**ابن تيمية النّقّاد الكبير للمنطق**). لعله أطول فصل في الكتاب. ثم ختمه بالفصل العاشر، وهو موازنة بين آراء علماء المسلمين والغربيين في نقد المنطق.
قال: "المنطق اليوناني كما تعرض للنقد في العالم الإسلامي فقد أُنتقد في الغرب أيضًا، ولكن النقد الغربي وقع بعد نقد المسلمين بمدة طويلة، وفيما يبدو كأنَّ النقد الغربي كان بتأثير من المسلمين".

ثم عقد مقارنات بين ابن تيمية وفرنسيس بيكون، وبين تميز ابن تيمية في نقده وآرائه على فرنسيس بيكون، ومما قاله في صفحات كثيرة ألخصه بنصها: "وقد اعتني به [أي التجربة والاستقراء ونقد القياس الأرسطي] قبل عدة قرون في العالم الإسلامي.. على سبيل المثال ابن تيمية عاش قبل **فرنسيس بيكون** بثلاثمائة عام قد انتقد الأقيسة التي ليس لها مبنى والتحليق في الكليات... وكان هذا ابن تيمية الذي كتب قبل ديكارت بثلاثمائة عام... وهذا الرأي هو الذي بينه ابن تيمية قبل جوك لوك بشكل أوضح... وابن تيمية قبل جون لوك بعدة قرون قال هذا الكلام بعينه ... والخلاصة أن نقد المنطق الأرسطي قد حصل في العالم الإسلامي بشكل دقيق وليس للغرب هدية جديدة في هذا الصدد، والعلماء المسلمون قد سبقوا المفكرين الغربيين في هذا العمل... إنَّ القراء الكرام إذا رجعوا إلى فصل نقد ابن تيمية لمنطق أرسطو في هذا الكتاب سيلاحظون في نقد ابن تيمية عن منطق أرسطو جميع آراء جون استيوارت مل التي ذكرناها قبله بخمسة قرون".

6-البروفيسور **محمد عبد الستار نصار**، عالمٌ أزهريٌ من نُقَّاد ابن تيمية، في دراسة له كبيرة وتحليلية مقارنة قبل سنة (1399هـ)، تناول فيها نقد آراء ابن تيمية المنطقية والفلسفية، ومقارنتها بغيره من المناطقة والفلاسفة ونقاد المنطق. ومن بعض ما قرَّرَهُ في هذه الدراسة، ما يلي:
قال: "يتبين لنا من المقارنة بين كل من ابن تيمية وجون استيورت مل، أنه كان للمفكر الإسلامي فضل السبق على الثاني، مما يؤكد أنَّ ابن تيمية كان له في مضمار التفكير الإنساني أثر كبير، وإنه بحق كان يسبق عصره في كثير من الآراء".
وقال: "نُقَرِّرُ في اطمئنان أن ابن تيمية كان مُفكرًا عمليًا... وقد وجدت هذه النـــزعة حديثًا

لدى كثير من المناطقة العمليين، وعلى الأخص لدى أصحاب الوضعيَّة المنطقية، مما يجعلنا في حلٍّ من القول بأنَّ ابن تيمية كان سلفًا لهؤلاء في هذا المقام".

ويقول: "من هذا الموقف [من المقدمات والقياس] لدى ابن تيمية تبين لنا أنَّ كثيرًا من أفكاره وآرائه النقدية، قد سبق بها المحدثين".

ويقول بعد مقارنة بين آراء ابن تيمية في النظرية اللغوية والمنطق وبين مدرسة التحليل اللغوي في المنطق الغربية: "[هذا] مما يجعلنا نعترف بأنَّ ابن تيمية في كثير من آرائه وأفكاره كان سابقًا للعمر الذي يعيش فيه".

ويقول: "مما يؤكد للباحث أنَّ ابن تيمية ليس فيلسوفًا عقليًا فحسب، ولكنه بجانب ذلك عالم تجريــبي، ولعل مما يؤكد هذا ما قاله أحد الباحثين من أن جون استيوارت مل يكاد يكون مرددًا لأفكار ابن تيمية في كتابه نسق المنطق".

وقال: "هذه فلسفة ابن تيمية في المعرفة والوجود، وهذا موقفه من المنطق، ولا يستبعد العقل أن يكون لهذا الموقف وهذه الآراء آثارها لدى المحدثين، فإنَّ الفكر الإنساني يحيا في حلقة متصلة، ولا يمكن مهما بلغت الدقة والإحكام حبسه داخل الإطارات المصطنعة من حق التاريخ. وقد شهد بهذه القضية كبار الباحثين في الشرق والغرب، ولم يعد للمنهج الفيلولوجي، الذي يعنى أساسًا بمسألة التأثير قيمة تذكر، ولكنَّ أهم ما يعتمد عليه مؤرخو الحضارة هو الكشف عن مدى استفادة اللاحق من السابق".

ويقول: "وحسب ابن تيمية –بهذه الروح العلمية التجريبية– أنه وضع هذه الأفكار في وقتٍ كانت فيه أوروبا ترسف في أغلال الجهل، وتعاني من جمود الفكر النظري طوال العصور الوسطى، كما أنه كتبها في وقتٍ كانت السهام كلها مشرعة ضده من أجل ثورته على الجمود والتقليد اللذان كانا سببًا في انهيار الحضارة الإسلامية".

7–الباحث الغربي نيكولاس هير (Nicholas Heer) في مقالة له بالإنجليزية بعنوان: (**تجريبيَّة ابن تيميَّة**)، سنة (1988م). فيها دراسة مقارنة بين آراء ابن تيمية وفلاسفة الغرب من أمثال: فرنسيس بيكون، وجون لوك، وجون استيوارت مل، وديفيد هيوم، خَلُصَ إلى وجودِ تشابهٍ كبيرٍ جدٍ بين هؤلاء بين آراء وأقول ابن تيميَّة.

8-الدكتور الشيعي **علي الوردي**، يقول ما نصه: "وصل نقد المنطق على يد ابن تيمية إلى القمة، وهو لم يقتصر في نقده للمنطق على نقض مبدأ العقلانية والسببية كما فعل الغزالي، وإنما حاول نقض الأصل الذي يقوم عليه الاستنباط المنطقي والقياس. وهو في هذا يشبه فرنسيس بيكون وجون ستيورات مل".

9-البروفيسور **محمد عبد الله الشرقاوي**، يقول: "ولنلاحظ أنَّ فرنسيس بيكون قد نقد منطق أرسطو ونقضه، بما نقده به ونقضه المفكر المسلم ابن تيمية في كتابيه (نقض المنطق) و(الرد على المنطقيين). وإنَّا لنتطلع إلى دراسة العلاقة بين هذين المفكرين العملاقين: ابن تيمية وهو السابق، وبيكون وهو اللاحق في ضوء نقد كل منها لأرسطو".

10-الدكتورة **عفاف الغمري**، أستاذة الفلسفة اليونانية والمنطق بقسم الفلسفة في جامعة الفيوم، في دراسة لها كبيرة عن المنطق عند ابن تيمية، خلصت إلى عدة نتائج منها التشابه بين أقوال أفكار ابن تيمية وأفكار فرنسيس بيكون وجون ستيوارت مل وغيرهما، وترديدهم لتلك الأفكار التي سبقهم بها ابن تيمية.
تقول: "في دراستنا لنقد ابن تيمية لبحث القياس الأرسطي... أثبتنا سبقه للمناطقة المحدثين والمعاصرين". وتقول: "بينا أن ابن تيمية يأخذ في تفكيره المنطقي بالمنهج التجريبي الاستقرائي، حيث يجعل الحث أو التجربة أساسًا للعلم... وهو في هذا يسبق بعض مفكري الغرب المحدثين، أمثال: فرنسيس بيكون، وجون ستيوارت مل، في جعلهما التجربة أو الاستقراء أساس المعرفة... وأثبتنا أنَّ الاستقراء هو طريق العلم عند ابن تيمية.. وهو ما يردده مفكرو الغرب مثل جون ستيوارت مل".

11-المستشرقة **أنكة فون كوجلجن**، بعد أن عرضت نماذج كثيرة لتشابه آراء وأقوال وتقسيمات ابن تيمية مع ما كتبه فلاسفة الغرب التجريبيين، وجدتها أنها تتَّفق مع ما سبق أن قرره ابن تيمية. تقول: "لا شكَّ أنَّ هذه الموافقات تُدْهِشُ العقْلَ".

12- الدكتور **جورج تامر**، ألماني من أصول لبنانيَّة، يشغل كرسي فقه اللغات الشرقية والدراسات الإسلامية بجامعة إرلنغن نورنبيرغ، في بحث له باللغة الإنجليزية يقول: "بكل تأكيد التشابهات المدهشة بين آراء ابن تيمية وتعاليم التجريبيين الإنجليز يُمكن ملاحظتها". ثم أخذ يعدد التشابه بينه وبين جون مل وجون لوك وديفيد هيوم.

13-البروفيسور **محمد حسن مهدي** –أستاذ الفلسفة بالجامعة الأزهريَّة- يقول: "دعا ابن تيمية إلى الاهتمام بالمنهج الاستقرائي الذي يرجع إليه الفضل في تقدم العلوم التجريبية في العصر الحديث". ويقول: "موقف تقي الدين ابن تيمية من المنطق الأرسطي ... وملاحظاته النقدية المنهجية القيمة... كانت بداية انطلق منها فلاسفة العصر الحديث، وخاصة ديفيد هيوم وجون استيورات مل في نقد المنطق الأرسطي... والحق أنه لم تهز دعائم منطق أرسطو إلا بعد مجيء فرنسيس بيكون... ولو قارنا ما قدمه مفكرو الإسلام وعلى رأسهم ابن تيمية من نقد للقياس بما ورد لدى مفكري الغرب لوجدناهم يكادون يرددون نفس الأفكار".

ويقول: "ما وُجِهَ للمنطق الأرسطي عامة، والقياس بوجه خاص من نقد في الفكر الغربي، قد وجه إليه في الفكر الإسلامي قبل قرون عديدة، فالحملة التي شنها الغربيون ضد المنطق الأرسطي... لا يقدم جديدًا إلى معلوماتنا، وذلك ما ردده مفكرو الإسلام ..وخاصة عند المفكر الكبير شيخ الإسلام ابن تيمية".

14- البروفيسور **محمود محمد علي** قال في كتاب له عن المنطق –صدر بتقديم الدكتور عاطف العراقي- : "ابن تيمية نقد المنطق الأرسطي على أسس تجريبية، حيث تناوله في جزئياته المتعددة بملاحظاته النقدية القيمة التي كانت بداية انطلق منها المناطقة الأوربيين في العصر الحديث وخاصة فرنسيس بيكون وجون استيوارت مل وديفيد هيوم في الهجوم على منطق أرسطو".

15-الباحث في المنطق الأستاذ فضل قائد علي، إحدى النتائج التي خلص إليها بعد الدراسة والمقارنة: "**لم يقل جون ستيوارت مل أكثر مما قال به ابن تيمية**".

ولهذا يقول **جورج تامر**، وهو من الذين يقفون ضد القول إنَّ ابن تيمية أثَّرَ في الفلاسفة الغربيين، في دراسة له بالإنجليزية لبعض آراء علماء المسلمين المعاصرين في هذا الصدد: "وغالبًا ما يصرح العلماء المسلمون المعاصرون أنَّ ابن تيمية كان إسميًّا وتجريبيًّا سبق المدرسة التجريبية البريطانية". ويقول: "**الكتَّاب المسلمون المعاصرون الذين تطرقوا لهذا الموضوع ربطوا نقد ابن تيمية للمنطق بنقد الأوروبيين المتأخرين للمنطق**"[(1)].

خامسًا: أهمِّيَّة ملاحظة السياق المعرفي–التاريخي للبيئتين الإسلامية والغربية.

في سياق الحديث عن مدى إمكانية إفادة فرنسيس بيكون من ابن تيمية، مع ثبوت الأسبقيَّة والتشابه المدهش، يحسن هنا أن أشير إلى أمرٍ مهمٍ، وهو موقف البيئة الغربية في العصور الوسطى من التجربة والمنهج التجريبي ونقد منطق أرسطو النظري. فإنَّ أهم ما يميز فرنسيس بيكون في الغرب وما أشتهر به –كما هو معلوم– هو نقده لمنطق أرسطو وكلامه في أهمِّيَّة التجربة والمنهج التجريبـــي.

وبشهادة أحد الغربيين المختصين في الدراسات الحضارية المقارنة، وهو **روبرت بريفولت، فإنَّه** يؤكد أنَّ **فرنسيس بيكون** وسابقه **روجر بيكون** ليس لهما الفضل في ذلك، وإنما هما مجرد نقلة للمنهج التجريبي من المسلمين والعرب.

فالأستاذ **روبرت بريفولت** يقول: "تعلم روجر بيكون اللغة العربية ودَرَسَ العلم في مدرسة أكسفورد على خلفاء معلميه العرب في الأندلس. وليس لروجر بيكون، ولا لفرنسيس بيكون الذي جاء بعده، الحق في أن يُنسب إليهما الفضل في ابتكار المنهج التجريبي. فلم يكن روجر بيكون إلا رسولاً من رسل العلم والمنهج الإسلاميين إلى أوروبا المسيحية، وهو لم يملَّ قط من

---

(1) **قلتُ**: وقد نقلتُ هذه النصوص التي فيها ذكر تشابه كلام فرنسيس بيكون وغيره بكلام ابن تيمية، لأسباب، منها: (1) أنَّ الأخ الشيخ فارس ذكر "فرنسيس بيكون وغيره"، فليس ذكره بيكون إلا كمثالٍ على فلاسفة الغرب الذين قيل إنهم أفادوا من ابن تيمية. (2) أنَّ وجود التشابه هذا والسبق يُعد قرينة عند كثير منهم على التأثر. (3) ويلحظُ في تلك النقول التي سقتُها أن بعضها لا يذكر فرنسيس بيكون، وإنما يتحدثُ فقط عن التشابه الكبير بين طريقة ابن تيمية في نقد المنطق الأرسطي، وبين طريقة أمثال ديفيد هيوم واستيوارت مل، وهم بهذا يتجاوزون فرنسيس بيكون المتوسِّطُ زمنياً بين هؤلاء وبين ابن تيمية، ليثبتوا بهذا فضل السبق للأقدم الذي يُحتَملُ تأثر الجميع به وهو ابن تيمية.

التصريح بأن تعلم معاصريه للغة العربية وعلوم العرب هو الطريق الوحيد للمعرفة الحقَّة. و لم يكف روجر بيكون عن الإعلان أنَّ المعرفة العربية والعلم العربي هي الطريق الوحيد للمعرفة الحقيقيَّة لمعاصريه"[1].

ويقول **بريفولت** أيضًا: "ليس ثمة ناحية واحدة من نواحي الازدهار الأوروبي إلا ويمكن إرجاع أصلها إلى مؤثرات الثقافة الإسلامية بصورة قاطعة...إن ما يدين به علمنا لعلم العرب ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة، بل يدين هذا العلم إلى الثقافة العربية بأكثر من هذا، إنه يدين لها بوجودِ نفسه".

ثم يبيِّن **بريفولت** بشكلٍ واضحٍ أنَّ "ما نسميه علمًا إنما ظهر في أوروبا نتيجة روحٍ جديدةٍ في البحث، ومناهج جديدة في التحقيق، ومناهج جديدة في التجربة والملاحظة والقياس، وتطورٍ في الرياضيات، في شكلٍ غير معروف عند اليونانيين. هذه الروح وهذه المناهج قدمها العرب إلى العالم الأوروبي"[2].

فالمنهج التجريبي والكلام عن التجربة لم يكن روحًا غَرْبيَّة، بل هي روح غرِيـــبة عن أوروبا ذلك الوقت ولعصور مديدة، وفي المقابل كانت هي روح الحضارة الإسلامية تطبيقًا وتنظيرًا.

يقول **برتراند رسل**: "طيلة العصور التي كانت ممسوحة بالظلمة والجهل، في مرحلة العمل؛ المسلمون هم الذين كانوا يقدمون سنة الحضارة، وكل معرفة علمية، اكتسبها علماء كروجر بيكون في أواخر القرون الوسطى، قد اقتبست منهم".

وللأسف، فإنَّ الاتجاه السائد في الغرب، وخصوصًا في القرون المتأخرة، هو جحد فضل العرب على الغرب، ومحاولة طمس فضلهم العميق على العقل الغربي، ونقله من ظلمات الجهل إلى نور

---

(1) "establishing a school of science at Oxford ; it was under their successors at that Oxford school that Roger Bacon learned Arabic and Arabic science. Neither Roger Bacon nor his later namesake has any title to be credited with having introduced the experimental method. Roger Bacon was no more than one of the apostles of Muslim science and method to Christian Europe ; and he never wearied of declaring that a knowledge of Arabic and Arabian science was for his contemporaries the only way to true knowledge". Robert Briffault

(2) "What we call science arose in Europe as a result of a new spirit of inquiry, of new methods of investigation, of the methods of experiment, observation, and measurement, of the development of mathematics in a form unknown to the Greeks. That spirit and those methods were introduced into the European world by the Arabs". Robert Briffault

العلم، بل وسرقة كثيرٍ من أعمال المسلمين أو نسبتها لغيرهم[1]، أو تجاهلها وعدم الاعتراف بها.

ثم قام الغرب وحصر دور تميز علماء الحضارة الإسلامية كلهم في كونهم مجرد نقلة للتراث الإغريقي. مع أنَّ فضل الحضارة الإسلامية على الغرب عظيمٌ جدًا، ومن أعظم تلك المنجزات للحضارة الإسلامية المنهج التجريبي، تطبيقًا وتنظيرًا

تقول المستشرقة الألمانية المعروفة **زيغريد هونكه**: "قد تخلص المؤرخون الغربيون حتى اليوم من واجبهم تجاه هذا العمل العظيم، فبينما يربِّتون هم على كتف العرب شاكرين لهم تلك الوساطة في نقل الحضارات القديمة للغرب، نجدهم يرتكبون ظُلمًا صارخًا بسكوتهم عن أفضال العرب الأخرى".

ثم تتابع كلامها فتقول: "العرب، في الواقع، هم الذين ابتدعوا طريقة البحث العلمي الحق القائم على التجربة. بينما علماء الإغريق تقيَّدوا دائمًا بسيطرة الآراء النظريَّة. ولم يبدأ البحث العلمي الحق القائم على الملاحظة والتجربة إلا عند العرب، فعندهم فقط بدأ البحث الدائب الذي يمكن الاعتماد عليه، يتدرج من الجزئيات إلى الكليات[2]، وأصبح منهج الاستنتاج هو

---

(1) **قلتُ**: سبق أن كتبتُ ونشرتُ قبل عقدين من الزمان مقالة بعنوان: "**سرقة المنجزات العربيَّة**"، جمعتُ فيها قائمة بأشهر منجزات الحضارة الإسلامية العلميَّة، والتي تم سرقتها من قبل الغرب أو قاموا بنسبتها لغيرهم.

(2) يقول **ابن تيمية**: "القضايا الحسيَّة لا تكون إلا جزئيَّة، فنحن لو لم ندرك بالحس إلا إحراق هذه النار، وهذه النار، لم ندرك أن كل نارٍ محرقة، فإذا جعلنا هذه قضية كلية، وقلنا: كل نارٍ محرقة. لم يكن لنا طريق نعلم به صدق هذه القضية الكلية علمًا يقينيًا إلا والعلم بذلك ممكن في الأعيان المعينة بطريق الأولى... فإنَّ جزّم العقلاء بالشخصيات من الحسيات أعظم من جزمهم بالكليات، وجزمهم بكلية الأنواع أعظم من جزمهم بكلية الأجناس، والعلم بالجزئيات أسبق إلى الفطرة، فجزم الفطرة بها أقوى. ثم كلما قوي العقل اتسعت الكليات، وحينئذ فلا يجوز أن يقال: إن العلم بالأشخاص موقوف على العلم بالأنواع والأجناس، ولا إن العلم بالأنواع موقوف على العلم بالأجناس، بل قد يعلم الإنسان أنه حساس متحرك بالإرادة قبل أن يعلم أن كل إنسان كذلك، ويعلم أن الإنسان كذلك قبل أن يعلم أن كل حيوان كذلك، فلم يبق علمه بأن غيره من الحيوان حساس متحرك بالإرادة موقوفًا على البرهان. وإذا علم حكم سائر الناس، وسائر الحيوان، فالنفس تحكم بذلك بواسطة علمها أن ذلك الغائب مثل هذا الشاهد أو أنه يساويه في السبب الموجب لكونه حساسًا متحركًا بالإرادة، ونحو ذلك من قياس التمثيل والتعليل الذي يحتج به الفقهاء في إثبات الأحكام الشرعية. وهؤلاء يزعمون أنَّ ذلك القياس إنما يفيد الظن، وقياسهم هو الذي يفيد اليقين، وقد بينا في غير هذا الموضع أن قولهم هذا من أفسد الأقوال".

الطريقة العلمية السليمة للباحثين".

وتقول أيضًا: "إنَّ العرب لم ينقذوا الحضارة الإغريقية من الزوال، ونظموها ورتبوها ثم أهدوها إلى الغرب فحسب، إنهم مؤسسو الطرق التجريبية... بالإضافة إلى عدد لا يحصى من الاكتشافات والاختراعات الفردية في مختلف فروع العلوم، والتي سُرِقَ أغلبها ونُسِبَ لآخرين".

وكان **روجر بيكون** -الذي أشتهر بإشادته بالعرب وعلمهم وتفوقهم وفضلهم- لا يتوقف وبشكل مستمر عن نقل أفكار ونصوص علماء المسلمين والعرب في كتبه، بل تجد بعض فصول كتابه منقولة بالكامل من أحد علماء الحضارة الإسلامية!

أما بخصوص **فرنسيس بيكون**(1)، والذي كان معاصرًا للميرداماد وملا الصدرا، فإنَّه مع أنَّ **هارفي** وصف ضحالته العلمية والفلسفية بطريقة ساخرة، بقوله: "إنه يكتب الفلسفة كأمين الصندوق". وقال معاصره **السير إدوارد كوك** (1634م) عن كتابه **الأُرغانون الجديد** ساخرًا: "الجاهل ليس بمقدوره أن يكتبه، والعالم لا يكتبه". أما الفيلسوف والمؤرخ الفرنسي **إميل بريهير** بخصوص معرفته بالمنطق ونقده له، فيقول: "فرنسيس بيكون لم يعرف أبدًا عقلاً آخر سوى هذا العقل المجرد والمصنف الآتي من أرسطو ومن العرب". ويؤيده في ذلك عالم المنطق الغربي **روبير بلانشي**. ويقول أستاذ الفلسفة بجامعة طهران الدكتور الإيراني **محسن جهانكيري**: "لا يُشاهد في كتابات فرنسيس بيكون وآثاره الفلسفية ما يدل على اتساع معلوماته وعمقها على صعيد الفلسفات القديمة والمعاصرة، بتعبير آخر: تُعد معرفته بالمذاهب الفلسفيَّة وآراؤه الفلسفيَّة محدودة وسطحيَّة".

إلا إنَّ أهم ما يميز فرنسيس بيكون في الغرب وما أشتهر به -كما قلتُ ذلك سابِقًا- هو كلامه عن أهميَّة التجربة والمنهج التجريبـــي، ونقده لمنطق أرسطو.

---

(1) **قلتُ**: لم يكن **فرنسيس بيكون** على مستوى الشخصية شخصية حسنة، فقد عُرِفَ في التاريخ الغربي كشخص لئيم ومرتشي، يغدر فيمن أحسن إليه. فقد خان **إيرل أسكس**، وهو الرجل السياسي الذي قربه وأحسن إليه. ثم اتهم بأخذ الرشوة في المرافعات التي كان يقضي فيها، وقد اعترف بذلك. قال **كوبلستون**: "لم يكن بيكون ذلك الإنسان الملتزم جدًا بالأصول الأخلاقيَّة".

في مقابل اللاحق=فرنسيس بيكون، يأتينا السابق=ابن تيمية[1]، وإذا أردنا أن نتحدث عنه وعن أهمِّيَّة تقريراته وآرائه ونقده، فإنَّ المفكر المغربي الدكتور **عبد العزيز العماري**، وهو من نُقَّاد ابن تيمية وليس من أتباعه، يدلي بدلوه في هذا الصدد، فيقول: "ابن تيمية إذا كان قد انتهى إلى الدعوة بوجوب حصر العلم النظري في مهمة رصد المحسوس بدل المعقول، وطلبه للجزئي بدل الكلّي، فإنَّ هذه الدعوة، دعوة يمكن الإقرار بشأنها أنها شكَّلَتْ بالفعل، في عموميتها، بداية تبلور معالم توجه حسّي متميز، اجتهد في محاولة وضع ذاته موضع الخط المتوازي لخط التوجه العقلي الذي ساد على امتداد تطور الفكر العربي الإسلامي. أو قُل إنَّه الخط الذي أراد لنفسه أن يكون البديل المنهجي للمنهج العقلي... فَمِنْ هذا الجانب بالذات يمكن القول إنَّ ابن تيمية كان يرنوا القطع مع الإرث المنهجي والمسلكي بالذات الذي سادَ مختلف العلوم والحقول المعرفيَّة يومئذٍ. الشيء الذي يُمكن معه القول إنَّ ابن تيمية على هذا المستوى كاد أن يُشَكِّلَ بداية انطلاق مرحلة جديدة".

ويقول البروفيسور **محمد عبد الله الشرقاوي**: "إنَّ حضارة الغرب ممثلة في فلسفتها منذ سقراط إلى نهاية العصر الوسيط قد تسببت في عقم العقل والعلم، لأنها اتخذت منهجًا ضالاً مغلوطًا خاطئًا في البحث والنظر. قد برز **لبيكون** مثلما لمعاصره **ديكارت** الحاجة الماسة إلى إصلاح المنهج العلمي، فوضع بيكون المنهج الاستقرائي التجريبي، وضمَّنه كتابه (**الأورجانون الجديد**) أي المنطق الجديد والآلة الجديد في مقابل الأورجانون القديم الذي يتضمن منطق **أرسطو** الذي أفسد العلم وأصاب العقل البشري بالجدب والعقم. ولنلاحظ أنَّ **فرنسيس بيكون** قد نقد منطق أرسطو ونقضه، بما نقده به ونقضه المفكر المسلم **ابن تيمية** في كتابيه نقض المنطق والرد على المنطقيين. وإنَّا لنتطلع إلى دراسة العلاقة بين هذين المفكرين العملاقين: ابن تيمية وهو السابق، وبيكون وهو اللاحق في ضوء نقد كل منها لأرسطو".

---

(1) يقول **عبد الرحمن الوكيل**: "ابن تيمية عبقري من عباقرة الفكر الإسلامي، لا في الشرق وحده، بل في العالم كله، حسبك أنه سبق فلاسفة الغرب ومفكريهم إلى نقد المنطق الأرسطي، وأعلنها ثورة عاتية، سبق بها فرنسيس بيكون وسواه من فلاسفة الغرب. ويحيف الباحثون على الحق والحقيقة حين ينسبون إلى بيكون وجون ستيوارت مل وأضرابهما من مفكري الغرب وفلاسفته الفضل الأول والأخير في تقويم المنطق الأرسطي، وضبط منطق الاستقراء. ابن تيمية كان أسبق منهم جميعًا، لكن كان لفرنسيس بيكون وجون ستيوارت مل من يحتفي بهما، فذاع لهما ذلك الصيت البعيد".

ويقول الدكتور **علي سامي النشار**: "المسلمون إذن هم مصدر هذه الحضارة الأوروبية القائمة على المنهج التجريـــبي. وإننا لنعلم أنَّ فرنسيس بيكون قام بعد ذلك بشرح هذا المنهج، ثم بحث فيه جون ستيوارت مل محتذيًا حذو العرب، آخذًا لكل ما توصلوا إليه، مرددًا عباراتهم وأمثلتهم"[1].

سادسًا: إذا كان هناك اتفاقٌ على وجود تشابه مدهش وتطابق بين آراء ابن تيمية وبين بعض الفلاسفة الغربيين، مع أسبقيَّة ابن تيمية، فما هي الموانع المُقتَرَحَة التي تمنع من إدعاء إفادة فرنسيس بيكون وغيره من ابن تيمية؟

يطرحُ الأخ الشيخ فارس شرطاً مفقوداً يمنعُ من صحة هذا الدعوى فيقول: "**أولاً: أن فرنسيس بيكون كان يعرف العربية، أو أن الرد على المنطقيين ترجم لغير هذه اللغة**".

في الحقيقة، إنَّ عدم معرفة فرنسيس بيكون للغة العربية، وكذلك عدم ترجمة كتاب (**الرد على المنطقيين**)، ليس حائلاً يقطعُ بعدم تَعَرّفه على أفكار وآراء ابن تيمية وغيره، فقد تكون نقلت إليه بواسطة مختصرات مترجمة أو أقوال في كتبٍ وسيطة. وتسرُّبُ أفكار المسلمين إلى العقل الأوربي كان قد شاع قبل زمن بيكون بمدةٍ.

ومع ذلك، فإنَّ فرنسيس بيكون لم يكن فقط يعرف العربية، بل كان يقرأُ ويكتبُ بها، ويترجمُ إليها من عدَّة لغات، فمن المعروف في سيرته أنه كان يجيد: الإنجليزية واللاتينية واليونانية والعبرية والعربية والفرنسية والإيطالية والإسبانية والهولندية. هذا ما يؤكده الفيلسوف والمؤرخ الغربي المعروف Peter Dawkins =بيتر دوكنـــز[2].

ومن الأدلة المادية القاطعة على ذلك ما ذكره **وليام توماس سميدلي**= William Thomas Smedley، (1858-1920)، وهو شخص مشهور جدًا بجمعه للنوادر والمخطوطات، وكان معظمها قد كُتب عليها حواشٍ وشروحاتٍ من قبل فرنسيس بيكون، وقد انتقلت

(1) **قلتُ**: قارن كلام علي سامي النشار الآنف بكلامه التالي هذا: "ابن تيمية بهذا يسبق بيكون ومل في جعلهما التجربة أو الاستقراء أساس المعرفة... وهنا يتشابه ابن تيمية وجون استيورت مل، بل يكاد مل يتكلم بأسلوب ابن تيمية في كتابه A System of Logic وهو يذكر مثال النار".

(2) **بيتر دوكنـــز**: هو مختصٌ وحجةٌ معتمدة في تاريخ وحياة وآراء فرنسيس بيكون والفلسفة الغربية في القرنين السادس عشر والسابع عشر، هو كذلك مؤسس ورئيس مؤسسة أبحاث فرانسيس بيكون ببريطانيا.

مجموعته النادرة هذه إلى مكتبة شكسبير بمكتبة واشنطن دي سي.
فمن الكتب التي كانت بحوزته نسخة من كتاب قواعد النحو العبريَّة طُبع في باريس عام 1576م، وكان يملكها فرنسيس بيكون، وعليه حواشٍ بخط يده، وكذلك مجموعة أوراق مكتوب عليها بخط يده مُدخلة في الكتاب، فيها ترجماته الخاصة من اللغة العبرية إلى اليونانية والعربية كتبها بخط يده. يقول **بيتر دوكنــز**: "هذا البرهان يدل على أنَّ فرنسيس بيكون وهو بعمر 15 عامًا كان قادرًا على الترجمة من اللغة العبرية إلى اليونانية والعربية".

سابعًا: المانع الثاني هو: "**أو أن الرد على المنطقيين ترجم لغير اللغة العربية**".
قلتُ: لا حاجة الآن إلى معرفة كون كتاب الرد على المنطقيين ترجم إلى غير العربية، وقد تبيَّنَ أن فرنسيس بيكون يجيدها ويترجم إليها.

ثامنًا: هل ترجمة كتاب (**الرد على المنطقيين**) لغير اللغة العربية مستبعدة، لأسباب منها: "(1) **أن الكتاب ليس له إلا نسخة واحدة، وجدت في الهند. (2) أن تكون هذه الترجمة انتشرت في الغرب، بحيث يطلع عليها فرنسيس**"؟
قلتُ: مع ما أشرتُ إليه من أنه لا حاجة لمناقشة هذا الكلام، لكن للفائدة نناقشه، من خلال ما يلي:
1- ما علاقة ندرة نسخ الكتاب في زماننا، وانفراد الهند[1] اليومَ بنسخة منه بالحكم باستبعاد ترجمة الكتاب إلى غير العربية؟ وهل يقتضي هذا بالجزم بأنه لم تكن في زمن

(1) هذه النسخة –كما يقول **العلامة سليمان الندوي**– المنسوبة إلى الهند هي يمانية الأصل، عليها بعض خطوط علماء وأئمة الزيّديَّة، وقد انتقلت للهند ضمن الكتب التي جلبها الملك صديق حسن خان –رحمه الله– من اليمن، وقد أفاد منها ونقل عنها في كتبه. ومنها نسخت معظم نسخ الهند، فهي أمهنَّ. وهذه النسخة اليمانية انتقلت بعد صديق حسن خان إلى المكتبة الآصِفيَّة بحيدر آباد الدكن. والنُسْخَة اليمانية هي النسخة الأصليَّة التي أملاها شيخ الإسلام ابن تيمية ودوَّنَ ما أملاه الشيخ صاحبه محمد بن أحمد الشافعي. حيث كُتِبَ في آخرها: "**بلغت مقابلةً بأصل المصنف بخطه المقروء عليه سنة ثمان وعشرين وسبع مئة، وقد قرأتُ عليه أوائل هذه النسخة وكَتَب بخطه على هوامشها زيادات**". وفي موضعٍ آخر ذكر **العلامة سليمان الندوي** أنَّ لكتاب (**الرد على المنطقيين**) نسخة خطيَّة أخرى في الهند غير هذه، في السند بدار المُصّنفِين (**أكاديمية شبلي**).

فرنسيس بيكون (قبل أربعة قرونٍ) ولا قبله ولا بعده إلا هذه النسخة التي بين أيدينا اليوم؟!

2- وجودُ نسخةٍ يتيمةٍ من الكتاب في زماننا لا يقتضي أن الحال كان كذلك طيلة القرون السابقة، بل إنَّ عدم وقوفنا على نسخةٍ ثانية، لا يعني أنه لا يوجد اليوم سواها، فمن الجائز ظهور نسخٍ أخرى للكتابِ كما حصل ويحصل كثيرًا[1].

3- أنَّ لكتاب (**الرد على المنطقيين**) لابن تيمية مختصراً معروفاً اختصره في مصر جلال الدين السيوطي (911هـ/ 1505م). مما يعني أن نسخةً من الكتاب —على الأقلِّ- كانت بين يدي السيوطي بمصر. وزمن السيوطي سابقٌ لزمن بيكون. ولا أعرفُ أن أحداً من أهل العلم ذكر قلة نسخ الكتاب في تلك الأزمان[2].

4- بحسب ما يذكره المستشرق المختص بالمنطق العربي **نيقولا ريشر**، فهناك نسخة مختصرة من منطق ابن تيمية، لا يُعرف مختصرها، بعنوان (**مقتطفات عن مسائل المنطق**) لابن تيمية، موجودة في مكتبة متحف **الإسكوريال** بأسبانيا.

5- أن اشتراط الشهرة والانتشار ليس لازمًا لمعرفة عالمٍ ما لكتابٍ ما.

تاسعًا: "**وأيضًا أنا كنتُ قبل أمس أطالع الأرقانون الجديد، لم أر شيئًا مما يذكر في مسألة تأثر فرنسيس بالكتاب. هذا إن كان التأثر في هذا الكتاب، فإن كان في غيره فلا أدري**".

قلتُ: هل يصح ويكفي منهجيًّا بناء حكمٍ بالنفي بناءً على مثل هذه المطالعة السريعة؟ أليست مثل هذه الأحكام تتطلب قبل ذلك إجراء استقراء كامل للمصادر المعنيَّة (كتب فرنسيس بيكون وغيره من فلاسفة الغرب وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية)، ودراسة مقارنة تحليليَّة لنصوصهم، من أجل الخروج بنتيجة مطمئنة؟

---

(1) قال **ابن تيمية**: "عدم العلم ليس علمًا بالعدم، وعدم الوجدان لا يستلزم عدم الوجود، فهم إذا لم يعلموا ذلك، لم يكن هذا علمًا منهم بعدمه، ولا بعدم علم غيرهم به".

(2) **قلتُ**: وكتاب مختصر (**الرد على المنطقيين**) جلال الدين السيوطي منه عدة نسخ مخطوطة، منها نسخة مخطوطة موجودة في أكاديميَّة ليدن بهولندا.

عاشرًا وأخيرًا: سوف أعرض هنا –للفائدة– بعض نصوص **فرنسيس بيكون**.

يقول: "اليونانيون كانوا أطفالاً، إذ قالوا الكثير و لم يعملوا شيئًا، لأن حكمتهم كانت تشجع على الثرثرة والإطناب الذي لا فائدة منه، أي إنها عقيمة وغير مثمرة على الصعيد العملي".
ويقول: " أفلاطون أفسد الطبيعيات بإلهياته مثلما فعل أرسطو نفس الفعل من خلال منطقه، أرسطو من أهل السفسطة قبل أن يكون من أهل الفلسفة وأفسد بمنطقه الفلسفة الطبيعية...لقد أفسد أفلاطون الطبيعيات من خلال مزجه فيما بين الطبيعيات والإلهيات".

ويقول: "السكولائيون [=وهم الذين يقابلون عندنا علماء الكلام والمتفلسفة] تخلو عن الوحي الإلهي في دراسة الإلهيات والحقائق الإيمانية، وغاصوا في محدثاتهم وابتداعاتهم، وغفلوا في دراسة الطبيعة عن التأمل في عجائب الصنع الإلهي".

ويواصل نقد هؤلاء فيقول: "هناك من يبادر إلى استنباط الدين المسيحي من أصول الفلاسفة، ويبرهنون عليه خلال الاستناد إلى حجيَّة هذه الأصول، ويصورون هذه الوحدة بين الحس والإيمان زواجًا مشروعًا، ويشغلون أذهان الناس ويلهونهم بهذه الطريقة، هادفين من خلال ذلك إلى الارتفاع باعتبار الدين، في حين يعملون على التقليل من قيمة الأمور الإلهية بواسطة خلطها بالأمور الإنسانية".

ويقول في موضوع تعارض العقل والنقل: "ينبغي أن نؤمن بالكلمة الإلهية [الوحي]، وإن أحجم العقل عن قبولها، لأننا لو آمنا بالأشياء التي تتفق مع الحس وتحظى بقبوله، لآمنا فقط بالأشياء وليس بخالقها، أو لاتفقنا مع الشيء فقط لا مع خالقه، وهو ما يمثل في الواقع استنادًا إلى شهادة مظنونة وغير معتبرة. الولاية الإلهية تستوعب عقل الإنسان كما تستوعب إرادته، ولذلك مثلما يجب أن نطيع الأمر الإلهي، وإن كانت إرادتنا كارهة لذلك، علينا أيضًا أن نؤمن بكلمته وإن كان في عقولنا كراهية لذلك".

وحين يتحدث فرنسيس بيكون في (تقدم المعرفة) عن علاقة العقل بالنقل، فإنه يحصر وظيفة العقل بما يتصل بالدين من خلال أمرين: (1) فهم الوحي المنـــزل. (2) استنباط تعاليم الدين. ويُقَرِّرُ أنَّ الإيمان أسمى من العقل، والإلهيات أشرف من الفلسفة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه وأزواجه ومن تبع هداهم إلى يوم الدين.

كتبه

عايض بن سعد الدوسري

الخميس الرابع من ذي القعدة 1438هـــ.